

الرواية الجزائرية في الدانمرك : آفاق الترجمة في فضاء خارج الفضاء الفرنكوفوني

عواطف جون ضاحي،
أستاذ مشارك، جامعة كوبنهاغن
Københavns Universitet

الملخص

صدرت رواية البيت الأندلسي للكاتب الجزائري واسيني الأعرج في شهر آب من عام 2013 . هي أول رواية جزائرية كتبت بالعربية وتمت ترجمتها إلى الدانمركية. للرواية الجزائرية في الدانمرك تاريخ يبدأ مع صدور رواية نجمة لكاتب ياسين باللغة الدانمركية عام 1963 وشهدت الساحة الأدبية الدانمركية منذ ذلك الحين صدور نحو خمسة عشرة رواية جزائرية باللغة الدانمركية. يشترك جميع الأعمال الروائية الجزائرية التي صدرت في الدانمرك بأنها كتبت باللغة الفرنسية. للدانمركيين لغتهم الخاصة هي اللغة الدانمركية، هي لغة صغيرة ولكن عدد كبير من سكان البلد يتقنون اللغة الأنكليزية ومنهم عدد لا بأس به يقرؤون الروايات باللغة الانكليزية أيضا بيد أن الناس يفضلون القراءة بلغتهم الأصلية الأقرب لهويتهم وهي باختلاف ما نشهد في الجزائر لغة واحدة وحيدة ولذلك نجد أن تقريبا نصف الأعمال الأدبية التي تصدر في الدانمرك سنويا هي أعمال مترجمة من مختلف اللغات إلى الدانمركية. ولكن كيف تجد الرواية الجزائرية طريقها إلى هذه الدولة الصغيرة ومن هم الذين يهتمون بالأدب الجزائري في الدانمرك وما هي الأعمال المترجمة وكيف تم اختيارها؟ في هذه الورقة سأبحث في الآليات الثقافية وطبعا مع نظرة إلى الآليات التجارية التي تدير دخول الأدب الجزائري إلى الدانمرك وما هي أنواع اللقاءات الثقافية التي تنتج عن ذلك.

للرواية الجزائرية في الدانمرك تاريخ يعود إلى سنة 1963 حيث صدرت رواية نجمة لكاتب ياسين باللغة الدانمركية. قصة الرواية الجزائرية عامة مع الدانمركيين هي قصة علاقة بين ثقافة اسكاندينافية تقع خارج الفضاء الفرانكوفوني والأدب الفراكوفوني

بشكل عام والأدب الجزائري بشكل خاص. والبحث في ظهور الرواية الجزائرية على الساحة الدانمركية هو البحث في الآليات التي تحكم الاهتمام ثم احتواء الرواية كتعبير إنساني يأتي من خارج البلاد المتلقية. وحتى هذه السنة ، خمسينية صدور نجمة باللغة الدانمركية كان الشرط الأول والأخير من الناحية الدانمركية الدخول إلى الفضاء الفرانكوفوني الذي وجدت الرواية الجزائرية تعبيرها فيه. هكذا كانت الحالة حتى هذه السنة حيث صدرت رواية واسيني الأعرج البيت الأندلسي مترجمة من اللغة العربية وليست من الفرنسية.

عندما نبحث في تلقي الأدب المترجم من لغة غريبة نبحث حقيقة في ما يدفع المجتمع المتلقي إلى الاهتمام بظواهر ثقافية نبعت عند الآخر، هل هو اهتمام حقيقي بالآخر أم هل هو فقط انعكاس لما يشغل المتلقي وذاته وسنرى أن الدوافع تتغير عبر الزمان وسنعمد عامة على نظرية إيتمار بن زوهر في النسق الأدبي المتعدد والعلاقة بين الطرف والمركز.

رواية نجمة

كانت الطلة الأولى للرواية الجزائرية في الدانمرك كما ذكرت مع "نجمة" كاتب ياسين. كان شاعر دانمركي (هو الشاعر Uffe Harder (1930 - 2002)) قد قدّم له عام 1961 في مجلة أدبية تعنى بالأدب بكامل أشكالها وبالفلسفة والفكر. شهدت حقبة أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات في الدانمرك انفتاحا كبيرا من قبل الوسط النخبوي الدانمركي نحو التطورات الأدبية الحديثة في الداخل كما في الخارج وتمت ترجمة الكثير من الأعمال العالمية المهمة خاصة من اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية واكتشف الشاعر والمترجم الدانمركي كاتب ياسين من خلال إلمامه بالأدب الفرنسي واهتمامه بالأدب الإفريقية حيث رأى في رواية نجمة مثالا للرواية المغاربية الفرانكوفونية الجديدة الظهور من جهة ومن جهة أخرى رأى أنها تشترك مع le roman nouveau في أسلوبها وتطلعاتها. ولكن رواية نجمة وبقية إنتاج كاتب ياسين الفني تعتبر الأكثر أهمية ووصف الرواية قائلا: ...تشير رواية نجمة إلى القوى المتحركة في الرواية الفرنسية التجريبية الجديدة وبذلك تفتح طرقا جديدة للرواية عامة.

ولكن، يقول الشاعر الذي أثار ياسين إعجابه : الذي يحوم ياسين حوله طوال الوقت مثلما يحوم أبطاله حول نجمة هو الجزائري، كينونة الجزائري، هوية الجزائري، الجزائري التي صنعها النوميديون والروم، البربر والقبائل، الأتراك والفرانسييون والعرب، هذه الجزائري المتعددة والممزقة يحاول أن يعطي لها صوتا ، أن يتكلم عن الحجر والشوارع وكل هؤلاء الناس في الماضي والحاضر الذين لم يكن لهم صوت يوما ، للفاندا والقرطاج لهؤلاء الذين بنوا الشوارع والذين يفجّرونها، للفقهاء، التجار لنساء الحريم للجاندارم الكورسيكيين والطلاب الثوريين، للفلاحين والصعاليك والموظفين، كل هذا يحاول (كاتب ياسين) أن يمسك به ويعبر عنه مع أنقاض المباني وهذا الدم الممتزج والقلق نفسه وهو يروي أبطاله الذين يعانون درجات من الدمار. يحوم حول الحقيقة التي لا تُستوعب والتي يصطاد سراياها. يفعل ذلك في رواية (كما في الأشعار والتمثيلات التي تدور جميعا حول الشيء نفسه) في رواية هي بدورها تحاول أن تكون ذلك الشمل والتي في الوقت نفسه تكون عددا من المغامرات الذكية والمتداخلة وحقيقة قاسية ومريرة دامية ومغبرة في دراما في غاية التعقيد البنائي والتي تبدو كأنها في جميع مراحلها تُمثل في غضون الدقيقة اللا متناهية نفسها.

هذا الإعجاب بالروائي الجزائري هو الذي أثار فضول الشاعر الدانمركي ليبوح به للآخرين ولم تمض سنة حتى أتى انتصار الثورة الجزائرية فبما أن كاتب ياسين كان حاضرا في المشهد الأدبي النخبوي لم يلبثوا أن ترجموا رواية نجمة للغة الدانمركية . لا يبدو أن وسط قرائها كان واسعا ولكن كان لها تأثيرات ثانوية أخرى لا يُستهان بها منها دراسات جامعية ومنها شراء المكتبات الشعبية مجموعة جيدة من الأعمال الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية. وبالإضافة إلى ذلك فهي أول رواية مغربية تتم ترجمتها في الدول الاسكاندينافية.

ولكن لم يتبلور صدور رواية نجمة في حركة ترجمية لروايات أخرى فمضى أربعة عشر عاما قبل صدور رواية مراد بوربون المؤذن باللغة الدانمركية ثم تمضي فترة طويلة لتصدر عام 1990 رواية رشيد ميموني. L'honneur de la tribu.

ولكن بالرغم من التواجد القليل للرواية الجزائرية في المكتبة الدانمركية في هذه الفترة إلا أنها وجدت طريقها إلى المناهج الجامعية في أقسام اللغة الفرنسية. نجد بين الدراسات الجامعية مثلا أطروحة حول مسرحية كاتب ياسين L'homme aux sandales de

caoutchouc وأطروحة تهم بانعكاسات المرأة في الأدب الجزائري تتناول كتابات مولود معميري وعائشة Lemsine وآسيا جبار بالإضافة إلى أنطولوجيا تتكون من مختارات لكتاب مغاربة خُصصت لأساتذة اللغة الفرنسية في المدارس الثانوية. وقبل أن تنتقل إلى فترة ما بعد سنة 2000 علينا أن نطرح سؤال ماذا كان وراء الحركة الجامعية والحضور في مواد المدارس الثانوية؟ وفعلًا كان من حظي أن استطعت أن التقى في غضون هذه الدراسة المبسطة مع السيدة (هي الأستاذة والباحثة Marie-Alice Séférian التي ما زالت تعيش في الدانمرك) التي حركت المنهاج الجامعي والتي جمعت الأنطولوجيا، سيدة من أصل فرنسي أرمني تعيش الجزائر وأقامت ودرّست فيها سنوات بعد التحرير وقد شاء نصيبها أن تستقر في الدانمرك حيث كانت في سنوات ما قبل التحرير قريبة من اللجنة الجزائرية الدانمركية التي دعمت الثورة قدر إمكانها في جو سياسي تقاعست فيه الحكومة والأحزاب السياسية عامة من إعلان دعمها لرغبة شعب الجزائر في الحرية. المهم هنا في الرؤية التاريخية للأدب أن الحركة الأدبية الخاصة بالأعمال الجزائرية تمت بمبادرات شبه فردية وبحب محض للقيم الأدبية المعبرة عما يخبو في الإنسان الذي حُكم عليه بالعيش في ظرف يختلف تماما عن ظرف الثقافة الدانمركية المتلقية.

آسيا جبار

أما آسيا جبار فقدم لها للمرة الأولى ككاتبة جزائرية مميزة في الثمانينيات من القرن الماضي في بعض الجرائد الوطنية وفي دراسة جامعية كانت سابقة لحضور الكاتبة في الساحة الأدبية بلغة البلد الدانمركية. يدل الاهتمام بها عبر اللغة الفرنسية وليس عبر اللغة الدانمركية على أنها كانت تُقرأ قبل ظهورها مترجمة. وهنا لا بد من ملاحظة حول الأدب واللغة. اللغة الدانمركية لغة صغيرة ولا يتكلمها سوى سكان البلد الخمس ملايين ونصف المليون وكما أن الترجمة الأدبية إلى اللغة الدانمركية عامة شهدت نهوضا في الخمسينيات والستينيات ف كذلك توسع في الفترة نفسها التي تُعتبر (فترة ما بعد الحرب) تعليم اللغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية مما يعني أن الكثير من الدانمركيين يتابعون الأدب الأوربي في لغاتها الأصلية وكذلك الآداب من ثقافات الأخرى التي تُكتب باللغات الأوربية الرئيسية. وكما ذكرت أعلاه فمنذ السبعينيات رأينا اهتماما في الجامعات في أقسام اللغة

الفرنسية بالأدب المغاربية مما أنتج دائما السؤال عن اللغة والصياغات اللغوية المغاربية الخاصة والمغنية للغة الفرنسية. ولكن لم يكن ذلك الاهتمام كافيا ليقوم حركة ترجمة على نطاق واسع يكفي ليجد الأدب المغاربي مكانه الطبيعي في الساحة الأدبية الدانمركية فلم يعد الاهتمام الأدبي المحض الذي يحرك قطار الترجمة ولكن اعتبارات تميل أكثر لتساؤلات أثرت داخل المجتمع الدانمركي.

عودة إلى آسيا جبار فتتم ترجمة روايتها *Ombre sultane* بعد أكثر من 20 سنة على صدورهما بالفرنسية وذلك بعد أن دخلت الكاتبة الأكاديمية الفرنسية في باريس. تزامن الاهتمام العريض أي اهتمام يشمل أيضا المؤسسات وليس فقط الأفراد بإنتاج آسيا جبار للأدب النسائي مع تصاعد الدراسات النسائية في الجامعات والأهم مع نقاشات حادة وعامة في المجتمع الدانمركي حول المرأة المسلمة التي أصبحت واقعا باثنا مع توسع جاليات المغتربين في المشهد الاجتماعي الدانمركي. ورغم إلفات الكاتبة إلى أن الوضع السيئ للمرأة الجزائرية الذي ترسمه في الرواية وربط ذلك الوضع بتاريخ الجزائر بعد الثورة إلا أن الإعلام أصر على تأطير الصورة المرصودة وتطبيقها على وضع نسائي مسلم عام خارج كل اعتبارات تاريخية. توج نجاح رواية أخت شهرزاد كما عُنوانت *Ombre sultane* بالدانمركية بمنح آسيا جبار جائزة ALOA الدانمركية عام 2007 التي توزع سنويا على كتاب من إفريقيا وآسيا.

عام 2008 أي بعد سنتين من صدور *Ombre sultane* صدرت رواية أخرى لآسيا جبار هي *L'amour la fantasia* ، محاولتها لإعادة كتابة أجزاء من تاريخ الجزائر من رؤية نسائية التي هي أيضا محاولتها لتجسيد التدوينات الفرنسية ولوحات بعض الفنانين المرافقين للقوات المستعمرة الفرنسية في الجزائر حيث تحول الكاتبة بلمسة فنية التدوينات واللوحات إلى أناس من لحم ودم. وقرأها أهم ناقد - صحفي Lars Bonnevie الذي انطلق من الثنائية التي بُنيت عليها المفاهيم الأساسية في الرواية والتي انعكست أيضا في عنوانها *L'amour la fantasia* على أنها تعبيراً فنياً عن جرح من الدمار والاغتصاب الجسدي والروحي جرح من الصعب الشفاء منه ويجعل من الحب أمراً شبه مستحيل ولكن رغم تمييز وعنصرية المستعمر إلا أن لغته وحضارته التربوية حمل في طياتها مفتاحاً يمكن المرأة من الخروج من التقليد القامع. ولكن للأسف مرة أخرى نجد التفاضل من قبل المتلقي الإعلامي عن تعلق العاملين ببعضهما

البعض علاقة عضوية وموضوعية حيث كانت L'amour la fantasia الرواية الأولى في رباعية جبار وOmbre sultane هي الثانية فضاعت بالتالي مغزى الكاتبة في تطور ظروف المرأة وإمكانيتها في الحب والحرية ولم يذكر صحفي واحد دخول المرأة ودورها النشط في حرب التحرير كما عبرت عنه الكاتبة أيضا ثم تردي وضعها الاجتماعي بعد التحرير.

هكذا وصل أدب آسيا جبار مع 20 سنة من التأخير فأعتقد أن المجتمع الجزائري كان قد تغير أثناء فترة الـ 20 سنة التي شهد أيضا ما يسمّى بالعشرية السوداء الدامية وحتى كان من الواضح في إحدى المقابلات الصحفية التي أجريت مع آسيا جبار بعد تلقيها للجائزة المذكورة أعلاه أن أسئلة الصحفيين حول اضطهاد المرأة قد أتعبتها وربما أشعرتها - وهذا تفسيرنا - أن الصحفيين يبحثون عن حقيقة يريدون أن يقرؤوها في أدبها ولكنها لا توجد لأنهم يبحثون عن أجوبة لتساؤلات أثارتها الأصولية الدينية الموجودة آنذاك في الدانمرك.

ومن الملحوظ هنا أننا لا نجد عملا أدبيا جزائريا واحدا نبع من معانات الحرب الأهلية بين الأعمال المترجمة. فبرغم من أن حرائق تلك الحرب أشعلت في دولة تعتبر جارة لأوربا وبالرغم من الخسائر الإنسانية الفادحة التي أنتجتها إلا أنه للأسف لم تصل إلا أصداء لها عبر الأدب المترجم إلى الدانمركية، مجددا في رواية البيت الأندلسي (2010) لواسيني الأعرج وفي دراسة أجرتها باحثة نرويجية عام 2002 لمجموعة آسيا جبار القصصية Oran, langue morte (1997) نشرتها الباحثة في مجلة جامعية صغيرة تصدر من جامعة كوبنهاغن.

روايات ياسمين خضرا

تمثل روايات ياسمين خضرا قفزة نوعية نحو العالمية أو بالأحرى العولمة التي كانت لها انعكاساتها على المشهد الأدبي الدانمركي. كما ترون أدناه فهو الأكثر حضورا حسب العدد الصادر ولا نجطئ إذا قلنا أيضا إنها الأكثر قراءة مقارنة بالروايات الجزائرية الأخرى في الدانمرك. يرجع ذلك حتما إلى سهولة قراءة لغتها المباشرة. وحسب تقديري فيتكرر هذا المشهد في دول غربية أخرى. والجدير بالملاحظة هنا أن كل روايات خضرا المترجمة إلى الدانمركية تتناول محاور خارج الحرب الأهلية في الجزائر التي كانت نقطة انطلاق الكاتب الأولى نحو الكتابة. تتفاوت ردود الفعل في المقالات النقدية الصحفية من الدهشة المطلقة لرواية L'attentat التي كانت هي الأولى التي نالت إعجاب الناشرين حتى هموا بترجمتها إلى

الدانمركية. كيف أن كاتباً عربياً يتطرق لمأزق الإرهاب بهذه الدقة حيث يتوغل في مشاعر الضحية مثل ما يتوغل في مشاعر الإرهابي بدرجة عالية من المعرفة النفسية وكما قال أحد نقاد رواية Les sirènes de Bagdad:

...لقد قال ياسميناً خضراً في حوار إن كتبه لا تدور حول الإرهاب... وإن رواية L'attentat تدور حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني كما تدور Les sirènes de Bagdad حول الحرب في العراق. إنها موضوعات مختلفة جذرياً ولكنكم لا ترون في هذه الأماكن إلا الإرهاب ثم الإرهاب ثم الإرهاب. الروايات لا تتناول الإرهاب ولكن الهشاشة الإنسانية والغضب والذل والخوف وأحياناً الأمل.

ثم يستطرد الناقد: مع احترامي لسيطرة الكاتب على كتاباته: صحيح أن الرواتين تصفان ما يقول ياسميناً خضراً ولكن الإرهاب هو نقطة الانطلاق والمحور بينما كانت الإنسانية هي المغزى لذلك فـ Les sirènes de Bagdad هي أدب هذا العصر وللعصر فلذلك تفرض نفسها كإحدى أهم روايات هذا الصيف (2008).

في حين قال ناقد آخر عن Les hirondelles de Kabul "...ولكنه ليست الحكبة نفسها التي تجعل من الكتاب قراءة ممتعة وربما يرجع ذلك إلى أن تقمص خضراً لشخصياته أملاً حين يكتب عن الشرق العربي. في أفغانستان يلعب خضراً في ملعب الغريب ونشعر بذلك في كافة الشخصيات.

لا، تجب قراءة الكتاب على أنه مراقبة خارقة لمجتمع يعاني من العذاب ووحشية متزايدة غير إنسانية، الخلفية الوحشية هي التي تترك الأثر في القارئ وليست الأبطال".

هكذا نرى روايات خضراً تدخل الأدب المعولم بمواضيعها المعولة أيضاً وأيضاً المشهد المعولم ذا ثنائية الإسلام والغرب كتابة ونقداً وإعلامياً في الدنمرك كما في دول أخرى. كذلك نجد ياسميناً خضراً داخلاً بقوة في الإعلام الدانمركي حيث ألفت خلفيته كضابط في الجيش الجزائري الأنظار والتي ظهرت في العديد من الحوارات وعدد من الإصدارات التي تهتم بالأدب الفرانكوفوني ورغم عولمية أعماله المترجمة إلى الدانمركي إلا أننا نجد آثاراً لتجربته الحربية الخاصة في أدبه وهكذا كان للجزائر تمثيلاً غير مباشر أيضاً بالأعمال.

من ناحية أخرى نجد باحثا دانمركيا كتب أطروحة للدكتوراه حل فيها حضور العنف في روايتي (1998) Les agneaux du Seigneur و(1999) quoi rêvent les Loups اللتين تتناولان بامتياز الحرب الأهلية بالجزائر من خلال الدور الذي تلعبه الحيوانات في الروايتين. هذه الدراسة كُتبت في السويد ولكن باللغة الفرنسية وهي في متناول يد الجميع في الرابط التالي:

<http://lnu.diva-portal.org/smash/record.jsf?pid=diva2:550714>

من الواجب أن نشير هنا إلى أن رواية ياسمينا خضرا L'attentat رُشّحت أيضا لجائزة ALOA التي حازت عليها آسيا جبار في السنة ذاتها.

وبهذا وصلنا إلى آخر العنقود، رواية واسيني الأعرج التي صدرت هذا العام (2013) والتي هي الرواية الجزائرية الأولى التي تتم ترجمتها إلى اللغة الدانمركية من اللغة العربية. تقف رواية البيت الأندلس كشمعة وحيدة في التيارات المختلفة التي تتسم بها الأدب المترجم حيث اختيرت بمبادرة فردية لقيمتها الأدبية وطرحها الملفوظ للهوية والرؤية للآخر في زمن سادت المفاهيم الأحادية والمبسطة للهويات وأخيرا لكونها كُتبت باللغة العربية الأمر الذي لاقى تقديرا كبيرا من قبل النقاد. كان للرواية وكاتبها حضور جميل في مهرجان الأدب العالمي سنة 2013 وحتى الآن صدرت في طبعتين وتم نشر 5 مقالات صحفية ناقدة على الأقل كانت قصيرة لكنها إيجابية وتعبّر عن إعجاب أولي ببنية الرواية وأسلوبها مع بعض التحفظ من لغتها الرومانسية. لم يحن الوقت بعد لتقدير تلقيها كاملا فسنؤجل ذلك إلى مناسبة أخرى بإذن الله.

خاتما

نستنتج أن دوافع اختيار وترشيح الأعمال الروائية للترجمة انتقلت عامة من الفردية إلى المؤسساتية وبتعميم أكبر من الذوق الأدبي إلى الدافع الذاتي كما أن العنصر التجاري أصبح يلعب دورا أكبر، وأيضا انتقل الدافع الأساسي من الاهتمام بالآخر إلى الاهتمام بالذات ومن أعمال ترتبط بالمكان والطبيعة إلى أعمال تتناول مواضيع معولة مثل وضع المرأة والإرهاب وشائنة الغرب والإسلام ومن المحتمل جدا أن مقروئية النص السهلة نسبيا تدفع الناشرين

للخوض في عملية الترجمة لأن احتمال البيع هو شرطهم لتمويل الترجمة وللأسف وهذا ما يقول الناشرون أنفسهم أن الرواية المترجمة ظروف نشرها صعبة حاليا.

يحتمل مشهد الرواية الجزائرية في الدانمرك إشكاليات أخرى كثيرة خاصة الجانب اللغوي فمن الواضح أن الأعمال المترجمة لا تعكس الواقع اللغوي والأدبي الجزائري ف الإنتاج الأدبي يتكاثر ويتنوع ويرتبط جزءه العربي مباشرة ببقية الآداب العربية على الأقل من الناحية اللغوية ولكن نقلب الصورة ونقول إن لو لم يُكتب جزء من الأدب الجزائري باللغة الفرنسية لكان طريقها إلى أوروبا والدانمرك أطول بكثير.

أخيرا أود أن أشير إلى دور المكتبات الشعبية في الدانمرك في انتشار الأعمال الأدبية وتشجيعها للقراءة حيث تتيح للجميع استعارة وقراءة كل الأعمال المذكورة في هذه الورقة بالإضافة إلى ذلك تملك مجموعات أكبر من الروايات الجزائرية باللغة الفرنسية والعربية وأعمالا علمية تتناول أيضا الآداب الجزائرية والمغربية والعربية عامة.

وهذه لائحة الأعمال الروائية الجزائرية المترجمة إلى اللغة الدانمركية:

1. Kateb Yacine, Nedjma 1963 (1956)
2. Mourad Bourboune, Le Muezzin 1977 (1968)
3. Rachid Mimouni, L'honneur de la tribu 1990 (1989)
4. Nina Bouraoui, La voyeuse interdite 1993 (1991)
- 5-6. Assia Djebar, Ombre Sultane 2006 (1987), L'amour la fantasia 2008
- 7-9. Faïza Guène, Kiffe kiffe demain 2010; Du rêve pour les oufs 2011; Les Gens du Balto 2011
- 10-14. Yasmina Khadra, L'attentat (2006); Les sirènes de Bagdad (2008); Les hirondelles de Kaboul (2009); Ce que le jour doit à la nuit (2011); L'équation africaine (2013).
15. Boualem Sansal, Le village de l'allemand (2012).
16. واسيني الأعرج، البيت الأندلسي (2013).

